خطبة بشار الأسد

بعد أيامٍ من تكرار حديث مستشارة الرئيس السوري بثينة شعبان عن استعداد الحكومة لإصلاحات اقتصادية وسياسية، ورفع حالة الطوارئ المعمول بها منذ عام ١٩٦٣، وقول نائب الرئيس بأن هناك بشرى سارة في خطاب الرئيس قريبًا. خطب الرئيس بشار الأسد في ٢٠١١/٣/٣٠ خطبة جوفاء، لا بشرى ولا إصلاح فيها، أصابت الناس بالإحباط، فأثارت مشاعر الشاعر فقال:

دَعِ الأزهارَ تفترشُ الديارا وحُرَّ الفكرِ ينتشرُ انتشارا
وحرّرْ من قيودِ الحكمِ شعبًا فقد عجَّت سجونُك بالأسارى
وحيِّ الشعبَ في شامٍ ودَرعا وقلْ عدلاً وردِّدهُ شِعارا[١]
إذا الأحرارُ قد هتفوا لعدلٍ فعارٌ أن يُلاقوا منكَ نارا
عهدتُ الطبَّ يصقُلُ كلَّ عقلٍ ويُثري المرءَ عِلمًا واختبارا
فأعجبُ يا طبيبَ الشامِ عَجْبًا بعلمِ الطبِّ عقلُك ما استنارا
أتقتلُ فتيةً خرجتْ بسلمٍ ألم تكسِبْ بذا ذمًّا وعارا؟
أتيتَ لمسرحِ التصفيقِ نجمًا وكان "الشعبُ" كفًّا مستعارا[٢]
وبالتصفيقِ أدَّوا ما عليهمْ بتمثيلٍ كأنَّهمُ سُكارى
رفاقُ الحزبِ في تلكَ الكراسي تُحمّسُهمْ وتُضحكُهمْ مِرارا
وأهلُ الشامِ راموا منكَ بُشرى فنالوا بعدما انتظروا انكسارا
فطهرانٌ تحبُّكَ، ليس دَرعا كأنَّكَ عندها كِسرى ودارا[٣]

مخاضُكَ يابن حافظَ كانَ عارا لقد أنجبتَ يا بشّارُ فارا[٤]
خِطابُك باهتٌ ما بلَّ ريقًا لظمآنٍ ولم يحوِ القَرارا
أتضحكُ والثكالى في دموعٍ؟ فضِحكُكَ في خطابِكَ كان عارا
وقولُك، لا جديدَ أتيتَ فيه فشعبُك فيكَ يا بشّارُ حارا
فلم تسمحْ ولم تسمعْ نِداءً فلا عجبًا إذا صاروا حَيارى
كلامُكَ مُحبِطٌ فأثارَ شعري فلم أصْمُتْ ولم أُطقِ اصطبارا
فثارَ الشعرُ يقفزُ عن لساني كشيطانٍ تمرّدَ ثمَّ ثارا
أراد الشعبُ رفعَ الظلمِ عنهُ فردُّكَ كان عذْلاً واحتقارا

وتزرَعُ فِتنةً وتلومُ شعبًا فمن زَرعَ الأذى حصدَ الدَّمارا
لقد فُقْتَ القذافي في غَباهُ أكنتَ له صديقًا مُستشارا؟[٥]
أرادَ الناسُ إصلاحًا وعدلاً وقد طلبوا بلا عُنفٍ حِوارا
وشاؤوا أن تفكَّ حصارَ رأيٍ فشددت التحكُّمَ والحصارا
أماني الشعبِ حقٌّ واحترامٌ وعدلٌ في الديارِ، وقد توارى
وبعض الناسِ أمّلَ فيكَ خيرًا فلم تجلبْ لهم إلا دَمارا
وشاؤوا أن تكون لهم صديقًا فكنتَ لهم عدوًّا مستثارا
وشاؤوا أن تكون لهم حكيمًا فكنتَ لهم ويا أسفي حِمارا
وُعودُك كلُّها كانت سَرابًا وأمّا في الوعيدِ فلا تُجارى
أيصدُقُ حاكِمٌ في حبِّ شعبٍ إذا ما قمعُهُ كان الشِّعارا؟
وتعتقلُ النساءَ بلا حَياءٍ أتخشى أيّها "الأسدُ" العَذارى؟
أتقمعُ أهلَ دَرعا كلَّ يومٍ وتطلقُ في رؤوسِ الأهلِ نارا؟
وستينًا قتلتَ بها بظلمٍ فلا أسفًا ذكرتَ ولا اعتذارا[٦]
وما حاربتَ إسرائيلَ يومًا ولم تحمِ الديارَ ولا الذِّمارا
ولا استرجعت جَولانًا سليبًا فلا شررًا قذفتَ ولا غُبارا
وكان الشامُ للجناتِ دارا فحوّلها الفسادُ إلى صحارى
أزالَ اللهُ حكمَكَ عن دمشقٍ وأبدلَ ليلَ سوريّا نهارا

١-٤-٢٠١١

الشرح:

١. درعا: مدينة في جنوب سوريا وفيها بدأت المظاهرات السورية السلمية في يوم الجمعة ٢٠١١/٣/١٨ وقتل فيها أربعة متظاهرين برصاص قوات الأمن السورية، مما فجر مظاهرات الغضب في كل البلاد.
٢. الشعب: مجلس الشعب.
٣. دارا: الملك الفارسي الذي حكم بين سنة ٥٢١ و٤٨٦ ق.م. وسمح لليهود ببناء الهيكل من جديد في عام ٥١٥ ق.م.
٤. في البيت إشارة إلى المثل العربي "تمخّضَ الجمل فولد فأرًا".
٥. القذافي: العقيد معمر القذافي الدكتاتور الليبي المشهور بتصرفاته الجنونية.
٦. قتلت قوات الأمن في درعا ستين مواطنًا في يوم واحد.